التعريفُ بعلمِ الكتابةِ

(قواعد الإملاء) في التُّراثِ العربيِّ

د.عمر رشيد شاكر السامرائي*

● المقدِّمة :

الحمد للهِ ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد كان لنزولِ القرآنِ الكريمِ وتدوينِهِ ونسخِهِ الأثرُ الكبيرُ في توجُّهِ أنظارِ العربِ نحو (الكتابةِ)، إذ رأوا فيها الوسيلة العظيمةَ في حفظِ هذا النصِّ الكريمِ، وجمع المسلمين عليه.

ولا شكَّ أنَّ (الكتابةَ العربيَّةَ) قد استجابت – بنظمها وتقاليدها المعروفةِ آنذاك – لهذه المهمةِ العظيمةِ، كما استجابت – فيما بعدُ – لتدوين العلوم في الحضارة الإسلاميَّةِ، كما لقيت من المسلمين عنايةً واضحةً من حيثُ تدوينُ نُظُمِها، وبيانُ قواعِدِها، وتحسينُ أشكالِها وتجويدُ صورتِها حتى عرفَ الخطُّ العربيُّ فنوناً في تجميلِ الخطِّ وتزيينِهِ قلَّ نظيرها إنْ لم يكنْ معدوماً .

ولكنَّ النَّاظرَ في التراثِ العربيِّ يجد أنَّ علماء العربيَّةِ قد صيَّروا مجموعةَ القواعدِ المنظَّمةِ لاستعمال (الكتابةِ العربيَّةِ) علماً له أصولُهُ وقواعدهُ، وله تراثُهُ وعلماؤهُ، وصار لهذا العلم منزلةٌ بينَ علوم العربيَّةِ، كما كانت له مفاهيمُهُ المحدَّدَةُ، واستمداداتُهُ المعرفيَّةُ، وحدودٌ واضحةٌ تفصلُ بينهُ وبينَ غيرهِ من علوم العربيَّةِ .

* جامعة سامراء / كلية التربية / قسم اللغة العربيّة .

وقد جاءت هذه الدِّراسةُ من أجلِ أنْ توضِّحَ هذه الأفكارَ، وتبيِّنُ كيف عرَّفَ التُّراثُ العربيُّ بهذا العلمِ، وكيف أوضَحَ علماءُ العربيَّةِ مفهومَهُ وحدودهُ، وقد رأيتُ أنْ أبنيَهُ على المباحثِ الآتيةِ:

١- المبحثُ الأوَّلُ: المصطلحات المعبِّرةُ عن (علم الكتابةِ العربيَّةِ) في التُّراثِ العربيِّ.

٢- المبحث الثَّاني: مفهومُ (علمِ الكتابةِ العربيَّةِ) في التُّراثِ العربيِّ .

٣- المبحث الثالث: التنظيرُ لعلمِ الكتابةِ العربيَّةِ في التُّراثِ العربيِّ .

٤- المبحث الرّابع: تصنيفُ (الكتابةِ العربيَّةِ) في التُّراثِ العربيِّ .

وأحسبُ أنَّ من تمامِ التَّعريفِ بعلمِ الكتابةِ العربيَّةِ الحديثَ عن أشياءَ منهجيَّةٍ أخرى كالحديثِ عن (مصادر علم الكتابةِ العربيَّةِ) وعن (منهجِ العلماءِ في تناول موضوعات علم الكتابةِ العربيَّةِ) ولكنّي أرى أنَّ ما دوَّنهُ أستاذُنا الدكتور غانم قدوري الحمد في كتابِهِ المهمِّ (علم الكتابةِ العربيَّةِ) يغني عن حديثي هذا، وأرى ضرورة الرُّجوعِ إليه كي تكتمل فكرةُ القارئِ عن هذا العلمِ، وطريقةِ التَّعريفِ به .

كما أرى أنَّ من تمامِ العلمِ بالشيءِ الاطلاعَ على الثَّبَتِ الدّقيق (الفهرس) الذي صنعه الأستاذ كوركيس عواد عن (الخطِّ العربيِّ في آثار الدّارسينَ قديماً وحديثاً) وفيه دوَّن ما وصل إليه علمهُ ممّا كُتِبَ عن الخطِّ العربيّ وعلم الكتابة العربيّة قديماً وحديثاً، في المكتبة العربيّة، وما كُتِب عن ذلك في اللغاتِ الأخرى ، وهو ثَبَتٌ لا يستغني دارسٌ عنه، وقد نُشِر في مجلة المورد – المجلد الخامس عشر – العدد الرابع – ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م ، من ص ٣٧٧ – ص ٤١٢ .

●المصطلحاتُ المعبِّرةُ عن (علم الكتابةِ العربيَّةِ) في التُّراثِ العربيِّ

حين أنشأ علماءُ العربيّةِ علماً مختصّاً بالكتابةِ العربيَّةِ يبيِّنُ قواعدَها، ويشرحُ نُظُمَها، ويفصِّلُ القولَ في أحكامِها تعارفَ هؤلاءِ العلماءُ والدّارسون فيما بينَهم على طائفةٍ من المصطلحات المعبِّرةِ عن هذا العلمِ، والنّاظرُ في التُّراثِ العربيِّ يجدُ كيف أنَّ الكتب التي ألّفها العلماءُ في هذا الفنِّ كانت تحملُ عناوينَ مختلفةً[١]، ومن ذلك:

١-الهجاء

وقد كان هذا المصطلح عنواناً لأوائل الكتب المؤلفةِ في علم الكتابةِ العربية، كتابِ الهجاءِ لعليِّ بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ)[٢]، وأبي حاتم السجستاني[٣] (ت٢٥٥هـ)،وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١هـ)[٤] .

ونجد أنَّ عدداً من النحويين قد خصَّص باباً مستقلاً لأحكام الكتابة ضمّنه في كتابٍ من كتبِهِ، وقد اختار له عنوان (الهجاء)، على نحو ما فعل أبو القاسم الزجّاجي (ت٣٣٧هـ) في كتابِهِ (الجمل)[٥]، وابن معطٍ (ت٦٢٨ هـ) في ألفيتِهِ (الدرّة الألفية)[٦]، وابن مالك (ت ٦٧٢هـ) في كتابه (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)[٧].

٢-الخطُّ

وهو المصطلح الثاني الذي استعمل في التعبير عن هذا العلم المتخصصِ في مباحثِ الكتابةِ

وأحكامها وقد كان من المصطلحات المبكرة في الظهور معبِّرةً عن هذا العلم، وقد حملتْ عدد من كتب التراثِ هذا العنوان ، كتابِ الخطِّ: لأبي بكرٍ بن السرَّاج (ت ٣١٦ ه)[٨]، وأبي القاسم الزجاجي[٩] .

كما اختار بعضُ النحويينَ هذا المصطلح عنواناً للباب الذي خصّصوه في مؤلفاتهم النحوية أو الصرفية لبحث قواعد الكتابةِ،على نحو ما فعل ابن الحاجبِ(ت٦٤٣ه) في آخر كتابه (الشافية)[١٠]، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ ه) في آخر كتابِهِ (جمع الجوامع)[١١] .

وسمّاه الشيخ نصر الهوريني (ت ١٢٩١ه) علم الخطِّ القياسي، قال – متحدثاً عن الكتابة: «ومع كونِها مفتاحَ العلومِ لكلِّ قاصدٍ، ومتقدِّمةً عليه الوسائلُ على المقاصدِ، فلها في نفسِها فنٌّ شريفٌ مستقلٌّ وضعوا له أصولاً وقواعدَ سمَّوها (علمَ الخطِّ القياسي) أو الاصطلاحي»[١٢] ويبدو إن هذا المصطلح قد استقر في الثقافة العربيَّةِ للدَّلالةِ على الجانبِ الفني للكتابةِ، أي ما يتَّصلُ بتحسين الخطِّ وتجميلِهِ وصناعة الخطَّاطين[١٣] .

٣- الرَّسْمُ

واستعمال هذا المصطلح للدَّلالة على قواعد الكتابةِ وطُرُقِها أقلُّ وروداً من المصطلحات السابقة، يُستنتجُ ذلك من قول الشيخ نصر الهوريني: «فأما اسمُ هذا الفنِّ فهو الكتابةُ، والخطُّ، والهجاءُ ... وقد يُسمّى أيضاً (علمَ الرَّسمِ) وإنْ غلبَ هذا في المصاحفِ»[١٤] .

ويؤيِّدُ ذلك الدكتور غانم قدوري الحمد، الذي أشار في أكثر من موضع إلى أنَّ هذا المصطلح استعمل للتعبيرِ عن طريقة كتابةِ الألفاظ في المصحف أكثرَ من أيِّ موضعٍ آخرَ، قال: «وقد اسْتُخدمَ في الدَّلالةِ على رسمِ المصحفِ أكثرَ من استخدامِهِ في الدِّلالة على قواعد الكتابةِ التي صاغها علماءُ العربيَّة»[١٥] .

وبيَّنَ في موضعٍ آخرَ سبب إطلاقِ مصطلح الرسم على طريقة كتابةِ الألفاظِ القرآنية، فقال: «أما مصطلح الرسم العثماني أو رسم المصحفِ فقد ظهر – على ما يبدو – في وقتٍ متأخرٍ نسبيّاً، إذ إنَّ كافة معاجم اللغة لا تذكر لمادة (رسم) أي معنى يتعلق بالخطِّ[١٦]، وأصل معنى (رسم) هو الأثر القديم، ورسم كلِّ شيءٍ أثرهُ، والجمعُ رسوم ... وربما كان استعمال الرسم للدلالة على خطِّ المصحفِ إشارةً إلى معنى الأثر القديم الذي يحرص المسلمون على المحافظةِ عليه»[١٧].

٤-الكِتاب

وهو مصدرُ الفعلِ (كَتَبَ) قال الفراهيدي (ت١٧٥ه):«والكِتابُ والكِتابةُ مصدر كتبتُ»[١٨]، وقد اسْتعمل للدّلالةِ على الكِتابةِ على نحوٍ عامٍّ منذُ عهدٍ مبكّرٍ عند العربِ[١٩]، من أجلِ ذلك كان هذا اللفظُ ممّا دوّنه ابنُ سِيْدهْ البطليوسي حينَ أحصى الألفاظ الدّالة على (الكتابِ وآلاتِهِ) في معجمِهِ (المخصّص)[٢٠] .

ثمّ استعمل لفظُ (الكِتاب) مصطلحاً معبِّراً عن هذا العلم المتخصِّص بدراسة قواعد الكتابة العربيَّة، والذي أحسبُهُ أنَّ أبنَ درستويه (ت٣٤٧ه) قد استعمل هذا المصطلح عنواناً دالاً على هذا العلمِ في مصنَّفِهِ (كتاب الكتاب)، ولكنَّ هذا الرأيَ به حاجةٌ إلى شيءٍ من تفصيلٍ .

فالمعروفُ عند الدَّارسينَ أنَّ عنوان كتاب ابن درستويه هذا هو (كِتابُ الكُتَّاب)و (الكُتَّاب)

جمعُ كَثْرَةٍ على وزنِ (فُعَّال)، وهي جمعٌ مفردهُ (كاتبٌ)، ولكن ثمّة نصٌّ في هذا الكتابِ يدعونا إلى إعادةِ النظرِ بقراءةِ العنوان على هذا النحوِ، فبعد أنْ عرَض ابنُ درستويه المصطلحات التي تستعمل للتعبير عن هذا العلم، رأى أنَّ في كلٍّ منها ما يخصِّصُها، ولذا آثر استعمال أحدِها، قال: «وسمّيناه كتاب الكتاب، إذ كان قصدنا فيه لما يكتبُ تهج وقراءة دون غيرِهِ، ولأنَّ الهجاءَ يلحقُ الكلامَ غير المكتوبِ أيضاً، وأنَّ الخطَّ قد يكون تصويراً أو نقشاً، ولمْ ننسبْهُ إلى الكتابةِ، لأنها صناعةُ الكاتبِ وهي تجمعُ أسباباً غير الكتابِ»[٢١] .

فالنصُّ كلُّهُ يتحدَّث عن أحداثٍ أو مصادرَ (بحسبِ مصطلح النحويينَ)، فأنت تجدُ: «القراءة، و الهجاء، والخطَّ، والكتابة، فليس ثمَّةَ أيَّةُ إشارةٍ إلى قائمٍ بهذا العملِ: قارئ، أو مُتهجٍ، أو خاطٍّ، أو كاتبٍ، من أجل ذلك أرى أنَّ الأقربَ للصوابِ هو أنْ يكونَ عنوانُ كتابِ ابنِ درستويه هو: كتابُ الكِتابِ، والذي يدلُّ على ذلك عندي هو الجملة الأخيرة من النصِّ الذي يقول فيها: وهي تجمعُ أسباباً غيرَ الكِتابِ»، فوردُ مصطلح (الكِتابِ) في النصِّ السابقِ، وفي موضع بيانِ عِلَّةِ إعراضِ ابن درستويه عن مصطلح (الكتابة) يُرجِّحُ أنَّه قصدَ استعمال مصطلح (الكِتابِ) عنواناً لمؤلَّفِهِ هذا .

٥-علمُ قوانينِ الكتابةِ، وعلمُ قوانينِ القراءةِ

واستعمال هذينِ المصطلحين للدّلالة على كلِّ ما له صلةٌ بالكتابةِ من حيثُ تصويرُ الحرفِ أو ضبطه قد ورد في كلام أبي نصرٍ الفارابي (ت ٣٣٩ ه) الذي قال: «وعلمُ قوانين الكتابةِ ... وعلمُ قوانين القراءةِ»[٢٢]، وقد تابعه في هذه التسمية ابن الأكفاني (ت٧٤٩ه) في كتابه: إرشاد المقاصد إلى أسنى المقاصدِ في أنواعِ العلوم[٢٣].

٦-علمُ الكتابةِ

وأجدُ أنَّ من أوائل الذين استعملوا مصطلح (الكتابة) و (علم الكتابة) للدلالةِ على هذا العلم هو يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩ه[٢٤]) الذي قال: «واعلم أنَّ موضوعَ الخطِّ والهجاءِ والكتابةِ هو حروف العربيَّةِ هذه التسعةُ والعشرون حرفاً»[٢٥] .

وقال أيضاً: «في تقسيمِ علمِ الكتابةِ وكيفيةِ النظرِ فيها ...»[٢٦] .

و (علم الكتابةِ العربية) هو المصطلح الذي رجّحه الدكتور غانم قدوري الحمد واختاره عنواناً لكتابِهِ الذي خصَّصه لهذا العلم من علوم العربية، قال: «وعَرفَتِ اللغةُ العربيةُ عدداً من المصطلحات التي استعملها للتعبيرِ عما سميناه (علم الكتابة) منها: الكتاب، والهجاء، والخطّ، والرسم، والإملاء، وقد يكون تأريخ استعمال هذه المصطلحات على نحو ما هي مرتبة ... وقد عَدلت في عنوان الكتابِ عن استعمال أيٍّ من المصطلحات السابقة، لما تُحدثه لدى القارئ المعاصر من لبسٍ أو خلطٍ، لأنَّ مصطلح (الكتابِ) صار يطلقُ على ما كُتِبَ في صحفٍ يضمّها غلافٌ، وشاع مصطلح (الهجاءِ) في الدلالة على أحد أغراضِ الشعر، وصار مصطلح (الرسم) يطلقُ على التصوير باليدِ، وغلب مصطلح (الخطِّ) على فنِّ تجويد حروفِ الكتابةِ، وعدلتُ عن مصطلح (الإملاءِ) لأنَّ ما نريد الحديث عنه أوسع مما يدلُّ عليه هذا المصطلح»[٢٧] .

ومـن أجل ذلك رأينا متابعةَ يحيى بن حمزة العلـوي والدكتـور غانـم قـدوري الحمـد في استعمال هذا المصطلح أيضاً .

٧-الإملاء

وقد اسْـتُعملَ هذا المصطلـح في القرنِ العاشر الهجـري حـين سـمَّى طـاش كـبري زاده (ت٩٦٨هـ) هـذا العلم الخاصَّ بدراسـة قواعد الكتابة بـ (علم إملاء الخطِّ العربي)[٢٨] .

وهو اليومَ من أشـهر المصطلحات استعملت للدَّلالـةِ عـلى هـذا العلم، قـال الدكتـور غانم قـدوري الحمد: «وصار مصطلـح (الإملاء هو الغالـبَ في زماننا في الدّلالةِ عـلى قواعدِ الكتابةِ، واسـتعمل عنواناً لعددٍ من الرَّسـائلِ المؤلَّفةِ في الموضوع»[٢٩] .

●مفهومُ (علـم الكتابةِ العربيَّةِ) في التُّراثِ العربيِّ

يُسـتخلصُ من النظرِ في كتابِ الفِهْرسْـت لابـن النّديـم (٣٨٠ هـ)[٣٠]، وفي بعـضِ الكتبِ الحديثـةِ[٣١]، أنَّ عـليَّ بـن حمـزة الكسـائي (ت١٨٩هـ) كان أوَّل منْ ألَّف كتاباً مسـتقلاً في قواعـدِ الكتابـةِ العربيَّةِ، وسـمّى كتابَه (كتاب الهجاءِ) .

ولكـنَّ العلمَ اللغويَّ العربيَّ لم يُعنَ في قرونِهِ الأولى بوضعِ تعريـفٍ جامعٍ مانعٍ لعلمِ الكتابةِ العربيّـةِ يميِّزهُ مـن غيرهِ من العلـومِ اللغويَّةِ، وأنَّ تعريـف هذا العلـم وتحديـدَ مفهومِهِ مرَّ بمرحلتينِ علميَّتينِ يُمكنُ إجمالُهما على النحوِ الآتي:

١-مفهومُ علمِ الكتابةِ العربيَّةِ عند اللغويينَ

إنَّ اسـتقراءَ مفهـومِ علمِ الكتابـةِ العربيَّةِ في الـتراثِ اللغويِّ العربيِّ يجعلنـي أرى أنَّ نصّاً لابـن السّرَاج قاله في القرنِ الرّابعِ الهجريِّ كان له الأثرُ الواضحُ في تشـكيلِ تعريفٍ دقيقٍ لهذا العلـمِ حين بدأتْ تظهر حركـةُ حصرِ المفاهيمِ وتحديـد معاني المصطلحات على نحوٍ دقيقٍ في الثقافـةِ العربيَّةِ، فقد قال ابـنُ السَّرَّاج: «فحقُّ الكلمـةِ إذا كُتِبتْ أنْ توفَّى عددَ حروفِها التي لها في الهجاءِ، وأنْ يصوَّرَ كلُّ حرفٍ منها بصورتِهِ التي وُضِعتْ له في: أ ،ب ،ت ، ث، كما أنَّ اللفظَ إذا اصطلـحَ عليـه أهـلُ اللغةِ وجعلـوهُ لمعنى بعينِهِ فحقُّـهُ إذا أريد ذلك المعنى أنْ يذكرَ ذلك اللفظُ من غيرِ زيادةٍ ولا نقصانٍ»[٣٢] .

وتتبُّـعُ التعريفـاتِ التـي ظهـرت في القرنِ السـابعِ للهجـرةِ وبعـدهُ يبـيِّنُ أنَّ لنـصِّ ابنِ الـسَّرَّاجِ هذا أثـراً واضحاً في صياغـةِ تعريفٍ دقيقٍ لعلم الكتابـةِ العربيَّةِ عند اللغويينَ، قال ابـنُ الحاجـبِ (ت٦٤٣هـ): «الخـطُّ: تصويـرُ اللفظِ بحروفِ هجائِهِ»[٣٣] .

وهذا التعريـفُ نجدهُ قد تردَّد صداه عند شُرَّاحِ الألفيَّـةِ وغيرِهم على نحو ما نجدُ عند رضي الدين الاسـتراباذي (ت ٦٨٦هـ)[٣٤]، والخـضر اليـزدي (أتـمَّ كتابَـه سـنة ٧٢٠ هـ)[٣٥]، وابـنِ جماعـة (ت٨١٩هـ)[٣٦]، والسيوطي في (جمع الجوامع[٣٧]، وحاجي خليفـة (ت ١٠٦٧هـ)[٣٨]، ومحمد بن علي التهانوي (ت ١١٥٨هـ)[٣٩] .

ولعـلَّ القارئَ قـد أدرك الاشـتراك بينَ نصِّ ابن السَّرَّاج لا سـيما في قولِـهِ: «وأنْ يصوَّرَ كلُّ حـرفٍ منها بصورتِهِ التي وُضِعتْ له في: أ، ب، ت، ث»، وبـين تعريـف ابن الحاجـب: «الخطُّ تصويرُ اللفظِ بحروفِ هجائِهِ» .

وقد وجدتْ لفظةُ (التصويرِ) هذه المشـتركةُ

بينَ الموضعينَ عنايةَ بعضِ اللغويينَ، وأنشـؤوا يعرِّفونهـا ويحـدِّدون مضمونهـا، فقـد قال الخضر اليـزدي: «والمـرادُ بالتصويـرِ الإتيانُ بتلك النقوشِ الموضوعةِ للألفاظِ، وهي حروفُ اللغةِ»[٤٠] .

وقـال ابنُ جماعةَ: «تصويرُ اللفظِ: التصوير إيجادُ الصورةِ، أي: أنْ توجدَ للشيءِ الملفوظِ به صورةٌ في الكتابةِ»[٤١] .

ولـم يكنْ نصُّ ابنِ الـسَّرَّاجِ بعيدَ التأثيرِ عن محاولـةِ يحيى بـنِ حمزةَ العلـوي في صياغةِ تعريـفٍ أكثرَ تفصيلاً لعلـم الكتابة العربيّة – الذي اختـارَ له مصطلح الهجـاءِ – حين قال: «للهجـاء في مصطلـح الأدبـاء والكتـاب فهو: تصويرُ أشكال الحروفِ على هيئةٍ مخصوصةٍ يقتضيها الرَّسـمُ والاصطلاح . فقولنا: تصوير أشـكال الحروفِ على هيئةٍ مخصوصةٍ عامٌّ في جميـع ما تضمَّنه الخطُّ من قلـبِ الياءِ ألفاً في: رمى، وفتى»[٤٢] .

وحـين شـاعت فكـرةُ أنَّ مـن الوظائـفِ الرئيسـةِ للمعارف اللغويّةِ هـو تجنُّبُ الخطأِ في اسـتعمالِ اللغةِ ظهر تعريـفٌ لعلمِ الكتابةِ العربيَّةِ يتناسـب مع هذه الفكرةِ، على نحو ما نجـدُ عند الشـيخِ نصر الهوريني الذي عرَّف هـذا العلـم قائلاً: «وأمّـا (حـدهُ) أي: تعريفُهُ فهـو علمٌ بأُصولٍ يعرفُ بها تأديةُ الكتابةِ على الصحةِ بناءً على القولِ بأنَّ عدمَ إعطاءِ الكتابةِ حقَّهـا جهلٌ، فتكونُ معرفةُ تأديتِها على الوجهِ الصحيحِ علمـاً، وإلا فنقول: هو قانونٌ تعصمُ مراعاتُهُ من الخطأ في الخطِّ كما تعصِمُ مراعاةُ القوانين النحويّةِ من الخطأِ في اللفظِ»[٤٣].

٢-مفهـومُ علـمِ الكتابـةِ العربيَّـةِ عنـد مصنِّفي العلومِ

وأعني بها المرحلة التي ظهرت فيها مؤلفات عربيَّـةٌ تُعنـى بإحصـاءِ العلـوم في الثقافـةِ العربيَّة وتبويبِها، وقد وجدتُ في بعضها نزوعاً نحـو إعطاءِ تعريـفٍ أو مفهومٍ لعلـمِ الكتابةِ العربيَّـةِ[٤٤]، قـد يكونون فيه سـابقين لعلماءِ العربيَّةِ، ومـن هؤلاءِ أبو نـصر الفارابي الذي تحـدَّث عن(علمين) رآهمـا معنيـين بالكتابة العربيَّة، سمّى الأول منهما: علم قوانين الكتابة، وحـدَّ مفهومه مـن خلال بيـانِ وظيفتِهِ، قال: «وعلم قوانـين الكتابة: يميّزُ أولاً ما لا يكتبُ في السـطورِ من حروفِهم وما يُكتبُ، ثم يبيِّن عمّا يكتب في السطورِ كيف سبيلُهُ أنْ يكتبَ»[٤٥] .

ثـمَّ تحدَّث الفارابي عن ضبـط هذه الكتابةِ بالعلامات من نقطٍ وغيرِهِ ورأى أنَّ استعمالَها منضبِطٌ بقواعدَ يجمعها علمٌ مسـتقلٌ سـمَّاه (علم قوانـين تصحيح القراءة)، وقـال معرِّفاً به: «وعلم قوانين تصحيـح القراءة: تعرف به مواضع النقطِ والعلاماتُ التي تجعل لما لا يكتب في السطور من حروفهم، وما يكتب، والعلامات التـي تميز بين الحروف المشـتركة، والعلامات التي تجعل الحـروف إذا تلاقت اندغم بعضها في بعض، وينحى بعضهـا لبعضٍ، والعلامات التي تجعـل عندهم لمقاطـع الأقاويل، وتمييز علامـات المقاطع الصغرى من علامات مقاطع الوسطى والكبرى، وبين علامات رداءة الألفاظ والأقاويـل المرتبطـة التـي بمعنـى بعضها ، وخاصة إذا تباعد ما بينها»[٤٦] .

وقـد تابـعَ ابنُ الأكفانيِّ الفارابيَّ في تقسـيمِ المعـارف المتَّصلةِ بالكتابـةِ إلى هذينِ العلمينِ، كما تابعَهُ في بيانِ مفهومِهما[٤٧] .

وكانت لابنِ خلدون (ت ٨٠٨ ه) طريقةٌ في بيان مفهومِ (الخطِّ والكتابةِ) حين قال: «فصلٌ في أنَّ الخطابةَ والكتابةَ من عداد الصنائع الإنسانيَّة: وهو رسومٌ وأشكالٌ حرفيَّةٌ تدلُّ على الكلماتِ المسموعةِ الدَّالةِ على ما في النَّفسِ»[٤٨] .

وإذا كان السيوطيُّ في(جمع الجوامع)[٤٩]، من متابعي ابن الحاجب في تعريف علم الكتابة أو الخطِّ كما سمَّياه، فإنَّهُ في كتابِهِ الذي يتحدَّثُ به عن أصنافِ العلومِ أتى بكلامٍ عامٍّ وضَّحَ فيه ما يعتري الكتابةَ العربيَّةَ من صنوفِ التغيير، وقدْ كان لهذا التعريفِ صدىً فيما بعدُ، قال: «علمُ الخطِّ: علمٌ يبحثُ فيه عن كيفيةِ كتابةِ الألفاظِ من مراعاةِ حروفِها لفظاً أو أصلاً، والزيادة والنقص، والوصل والفصل، والبدل»[٥٠] .

وقد أخذ بهذا التّعريفِ بعضُ علماءِ رسمِ المصحفِ، على نحو ما نجدُ عند محمد غوث الآركاتي (ت١٢٣٨ه)[٥١]، ولعلَّ الذي سوَّغ الاستنادَ إلى تعريفِ السيوطيِّ في(إتمام الدراية) هو تضمُّنُهُ مباحث علم الكتابة أو علم الخطِّ، ولعلَّ السيوطيَّ ومن تابعه رأوا أنَّ ذكر هذه الأقسام في الحدِّ يجعلُهُ جامعاً مانعاً متضمِّناً فكرة هذا العلمِ ووظيفتَهُ .

وكان محمد المرعشي المعروف بساجقلي زاده (ت ١١٥٠ه) قد قدَّم تعريفاً عاماً ابتعدَ فيه عن كثيرٍ من التفاصيلِ التي أشار إليها سابقوه في تعريفاتِهم ، وذلك حين قال: «وأما علم الخطِّ العربيِّ فهو علمٌ يُبْحثُ فيه عن كيفيةِ كتابةِ اللفظِ العربيِّ»[٥٢] .

وأحسبُ أنَّ الطريقةَ التي ظهرَ فيها تعريفُ علمِ الكتابةِ عند اللغويينَ ومصنِّفي العلومِ تعطي باجتماعِها تصوُّراً جيداً عن هذا العلمِ الذي عُنِي بهِ التراثُ العربيُّ منذ عهدٍ مبكِّرٍ، وأنشأ له مفهوماً تكاملت أبعادهُ على يدِ علماءَ متنوِّعي التخصّصاتِ من لغةٍ وفلسفةٍ وعلوم قرآن ، كما أنشأ له مصادرَ علميَّةٍ، ونصوصاً من شأنِها أنْ تضبطَ قواعدَ الكتابةِ وتفسِّرَها تفسيراً علميّاً دقيقاً.

● التنظيرُ لعلمِ الكتابةِ العربيَّةِ في التُّراثِ العربيِّ

غرضي في هذا المبحثِ أنْ أعرضَ للنصوصِ والأفكارِ التي تثبتُ أنَّ التراثَ العربيَّ قد هيّأ الأسس النظريّةَ والأبعاد الفلسفيَّةَ التي صيّرت المنظومةَ الجامعةَ لقواعدِ الكتابة العربيَّةِ علماً مستقلاً توافرتْ فيه جميعُ المسوِّغات التي تصيِّرهُ علماً، شأنُهُ في ذلك شأنُ أيِّ علمٍ لغويٍّ آخرَ يمتلكُ مسوِّغاتِ وجودِهِ .

أولاً: النصُّ على استقلال علم الكتابةِ العربيَّةِ

المستقري لنصوصِ التُّراثِ يجدُ أنَّ هذا التراثَ قد اعترفَ بعلمِ الكتابةِ العربيَّةِ علماً مستقلاً (مشهوراً) منذ عهدٍ مبكِّرٍ من نشأة العلوم العربيَّة في الحضارةِ الإسلاميَّةِ، فحينَ شرع أبو نصرٍ الفارابي (ت ٣٣٩ ه) يُحصي العلوم في عصرِه نصَّ على أنَّه يقصدُ العلومَ المشهورةَ دونَ غيرِها، قال : «قصدنا في هذا الكتابِ أن نُحصي العلوم المشهورةَ علماً علماً»[٥٣] .

ثمَّ كانَ (علم قوانين الكتابة، وعلم قوانين تصحيح القراءة) من هذه العلوم المشهورة التي خصَّها الفارابي بحديثٍ مستقلٍّ، ثمَّ بيَّن كيف أنَّ الكتابةَ واحدة من الصنائع التي يمكنُ حصرُها بقوانينَ مستقلةٍ، قال: «والأشياءُ

المفردةُ الكثـيرةُ إنَّما تصيرُ صنائعَ بأنْ تحصرَ في قوانينَ تحصلُ في نفسِ الإنسـانِ على ترتيبٍ معلومٍ، وذلـك مثل: الكتابـةِ والطِبِّ والفلاحةِ والنجارةِ وغيرِها مـن الصنائع كانت عمليَّةً أو نظريَّةً»[٥٤].

بل رأى الفارابي أنَّ علم اللسـانِ ينقسمُ عند كلِّ أمَّةٍ سـبعةَ أجزاء عظمـى، ورأى أنَّ علمي الكتابـة، وتصحيح القراءة (وهـو من العلوم التي لهـا صلة بضبط الكتابة بحسـب عرض الفارابي) من هذه العلوم السـبعة التي أشـار إليها[٥٥] .

ثانيـاً: أثرُ نظريّة مراتب الوجـود في التنظير لعلم الكتابة العربيّة

وأجـدُ أنَّ فكـرةً أو نظريَّـةً قالهـا الأصوليون تحدَّثوا بها عمّا سموه مراتب الشيءِ في الوجودِ، كان لهـا الأثرُ عنـد اللغويـينَ في التنظير لعلم الكتابةِ العربيَّةِ، ولإثباتِ أنَّ علمَ الكتابةِ هذا قد امتلكَ مسوِّغاتِ القول بوجودهِ، فقد قال الإمامُ الغزاليُّ (ت ٥٠٥ ه): «الشيءُ له في الوجودِ أربع مراتبَ: الأولى: حقيقتُهُ في نفسِهِ .الثانية: ثبوت مثـالِ حقيقتِهِ في الذهنِ، وهـو الذي يعبَّر عنه بالعلمِ،الثالثـة: تأليفُ مثالـه بصوتٍ وحروفٍ تدلُّ عليه، وهو العبـارة الدَّالة على المثال الذي في النفسِ . الرابعة: تأليفُ رقومٍ تدرك بحاسةِ البصرِ دالةٍ على اللفظِ وهو الكتابة»[٥٦] .

وقـد وُظِّفـتْ هـذه الفكـرةُ لا سـيَّما عنـد المتأخريـنَ توظيفاً واضحـاً، إذ كانوا يبدؤون بهـا حديثَهم عن أحكام الكتابةِ العربيَّة، وكأنَّ في ذلك إشـارةً إلى مسـوِّغاتِ البحث في الكتابةِ العربيَّـةِ في مؤلّفـاتِ النحويـين، وأوّل نحويٍّ وجدتُهُ يوظّف هذه الفكـرةَ الأصوليَّةَ عندَ بدءِ حديثِـهِ عـن الكتابـةِ العربيَّةِ هو ابـن الخبّاز (ت٦٣٩ ه) الـذي قال: «لـكلِّ شيءٍ في الوجودِ أربعُ مراتـبَ: حقيقتُهُ ومثالُها الذهني المطابقُ لها، وهذانِ لا يختلفـانِ باختلافِ الأممِ، ولفظٌ دالٌّ على المَثالِ الذهني، وكتابةٌ دالَّةٌ على اللفظِ، وهذان يختلفانِ باختلافِ الأممِ»[٥٧] .

وقـد سَرَتْ هذه الطريقـةُ في معالجةِ أحكامِ الكتابـةِ العربيَّـةِ أو التعريفِ بهـا بعد عرضِ فكرة (مراتب الـشيء في الوجودِ) عند كثيرٍ من اللغويينَ على نحوِ ما نجدُ عند الجاربردي[٥٨]، وابنِ الأكفاني[٥٩]، والشيخ نصر الهوريني[٦٠]، وكأنَّ في ذلك إشـارةً إلى أنَّ هذه النظريَّةَ تحملُ في طيّاتِهـا مـا يؤسِّـسُ للكتابةِ وعلـمِ الكتابةِ قواعدَ التنظيرِ لهما .

وأجـدُ أنَّ من النحويينَ من عُنيَ ببيانِ أفكارٍ هي مسـتوحاةٌ من نظرية مراتب الوجودِ هذه، وأحسبُهُ أنَّه بذلك يبغي تقديم المسوِّغِ العلميّ الـذي من أجلِهِ صـار للغويينَ العـربِ اهتمامٌ بالكتابةِ وعلمِها ، يقول الخضر اليزدي: «فإذا أردتَ إيقافَـكَ أحداً على ما في ذهنِكَ من المعاني تكلمتَ بألفاظٍ وُضِعتْ لهـا، وإذا أردتَ تأديةَ ألفاظِكَ لذلك الإيقافِ إلى أحدٍ بغيرِ شفاهٍ نقشتَ النقوشَ الموضوعةَ لتلـك الألفاظِ، فيطالعُ تلك النقـوش، ويفهمُ منها تلـك الألفاظَ، ومن تلك الألفاظِ تلك المعاني»[٦١] .

وقـال ابن خلدون: «واعلم أنَّ الخطَّ بيانٌ عن القـولِ والكلامِ كما أنَّ القولَ والكلامَ بيانٌ عما في النفـسِ والضمـيرِ من المعاني، فـلا بدَّ لكلٍّ منهما أنْ يكونَ واضحَ الدِّلالة»[٦٢] .

والحقيقـةُ العلميَّةُ تفرضُ القـولَ إنَّ التَّراثَ

اللغـويَّ العربـيَّ لم يسـتندْ إلى هـذه النظريّةِ وحدهـا في سـبيل تقديـم المسـوِّغات العلميَّة للانشـغال بعلم الكتابةِ العربيَّةِ، بل إنَّه أضاف إلى ذلك مسـوِّغاً علميّاً ينطلقُ من واقعِ الكتابةِ العربيَّةِ نفسِـها، ذلك بأنَّ هذه الكتابةَ تسـتندُ إلى أسـاليبَ ونُظُـمٍ تفرضُ أنْ تُتَلقّى بحسـب قواعـدَ علميَّـةٍ، يقول العلامـة محمد المرعشي: «وأمّا علـمُ الخـطِّ العربيِّ ... وهو أحـدُ علوم العربيَّةِ، وتشـتدُّ الحاجـةُ إليه ، إذ مـن جهلَهُ يخطـئُ في كتابةِ اللفظِ العربـيِّ وقراءتِه، إذ في الخطِّ العربيِّ زيـادةٌ على اللفظِ ونقصانٌ عنه، وإبـدالٌ ملفوظٌ بمـا ليس بملفـوظٍ خصوصاً بالهمزات»[٦٣].

وأدرك علماءُ العربيَّةِ أنْ لا علاقةَ منطقيَّةً بين الصـوتِ والرَّمزِ الذي يُمثِّلُـهُ في الكتابةِ وقرَّروا أنَّ انتفاءَ تلـك العلاقةِ هو الذي يفسِّرُ اختلافَ أنـواع الكتابـات التـي تعرِفُها البشريَّـةُ، قال الخضر اليزديُّ: «ولا علاقةَ معقولةٌ بين المعاني والألفـاظِ على الأمـرِ العـامِّ، ولا بـينَ الألفاظِ والنقـوشِ الموضوعـةِ، ومن ثمَّ جـاءَ اختلافُ اللغـاتِ والخطوطِ كالعربيَّةِ والهنديَّةِ والتركيَّةِ إلى غير ذلك»[٦٤] .

ثالثاً : العلاقةُ بين (علم الكتابةِ) وعلومِ العربيّة

وأجدُ أنَّ من المعالمِ البارزة التي اسـتندَ إليها علماءُ العربيَّةِ في التنظير لعلمِ الكتابةِ، والحكمِ بأنَّـه علمٌ قائمٌ على أسـسٍ فكريَّـةٍ واضحةٍ هو رسـمُ الحدودِ الفاصلةِ بين علـم الكتابة وغيرِه من علوم العربيَّة وعلومِ القرآن .

وقـد مرَّت هذه الفكرةُ بمرحلتـينِ – فيما أرى – وهما:

-الأولى: إدراكُ علمـاءِ العربيَّـةِ أنَّ لعلمِ الكتابةِ أصولاً علميَّةً مستمدَّةً من علوم العربيَّةِ الأخرى ولا سيمَّا علمي النحو والصَّرفِ، وفي ذلك يقول أبو حيَّـان الأندلـسي (ت٧٤٥هـ): «وعلمُ الخطِّ ..وإنَّمـا ذكـره النحويونَ في كتبِهـم لضرورةِ ما يحتاجُ إليـه المبتدئُ في لفظهِ وفي كتبِه، ولأنَّ كثيراً من الكتابةِ مبنيٌّ على أصولٍ نحويَّةٍ ففي بيانِها بيانٌ لتلك الأصولِ»[٦٥] .

ويقول الشـيخ نصر الهوريني: «وأمَّا مأخذهُ واستمدادهُ: فهو من القواعد النحويَّةِ والأصولِ الصَّرفيَّـةِ ... ومـن موافقةِ (الإمـامِ) الذي هو مصحـفُ عثمـانَ في بعـض الكلمـاتِ»[٦٦]، ويقـول أيضـاً: «وأسسـوا لهذا الفـنِّ ضوابطَ وروابطَ بنَوها على أقيستِهم النحويَّةِ وأصولِهم الصرفيَّة»[٦٧].

-الثانيـة: وهي المرحلـةُ التي أقرَّ فيهـا علماءُ العربيَّـةِ أنَّ لعلمِ الكتابةِ قواعدَ تميِّزهُ من غيرِه مـن علومِ العربيَّـةِ، وأنَّ اسـتمدادهُ من النحو والصرفِ لا يعنـي أنَّه داخلٌ معهما في منظومةٍ علميَّةٍ واحـدةٍ، قال أبو حيّـان الأندلسي: «وعلمُ الخطِّ يقال له: الهجاء، ليس من علمِ النحو»[٦٨].

وقـال يحيى بن حمزة العلوي – متحدِّثاً عن الزجاجـي وكتابه: الجمل: «وقـد أراد صاحبُ الكتـابِ ألا يخـليَ كتابَـهُ عـن شيءٍ مـن علومِ الكتابـةِ، وإلا فهـي بمعزلٍ عن علـم الإعرابِ، لأنَّ علـمَ الإعـرابِ موضوعُـهُ الـكلامُ، والهجاءُ موضوعُهُ الخطُّ»[٦٩] .

ويقـول الدكتور غانم قدوري الحمد: «وكان عـددٌ من علماءِ العربيَّةِ قد ألحقَ مبحثاً في بيان قواعـد الإمـلاءِ في كتب النحو والـصَّرف ولكنَّ ذلك لا يعني أنَّه جزءٌ منهما»[٧٠] .

بـل إنَّ محمـد المرعـشي المعروف بسـاجقلي

زاده قـد قـرَّر أنَّ علـمَ الخطِّ مبايـنٌ عن علم رسـم المصحف، قال: «وأما علمُ الخطِّ ... وهذا الفـنُّ غيرُ خـطِّ المصاحفِ وسـيأتي ذلك»[٧١]، وقـد عرّف هذا العلمَ قائلاً: «وأنا علمٌ مرسـوم المصاحـفِ فهو علـمٌ يغرفُ فيه كيفيةُ رسـم المصاحفِ الأئمة،أي خطّها»[٧٢] .

رابعاً: تحديد (موضوعِ) علم الكتابةِ و (أهميّتِهِ)

وإذا كانَ تحديـد الموضـوع من أساسـياتِ العلـومِ، كمـا نـصَّ على ذلـك أحد اللسـانيين المعاصرين حين قـال: «ولا يقومُ العلم كما هو معلـومٌ لدى دارسي المناهج العلميّة إلا إذا حُدِّدَ موضوعُـهُ أولاً»[٧٣]، فـإنَّ هذا الـشّرطَ لم يكنْ غائباً عن علماءِ العربيّة فقد حدّدوا (موضوع) علـم الكتابةِ بوضـوح، قال يحيـى بن حمزة العلـوي: «واعلـم أنَّ موضوعَ الخـطِّ والهجاءِ والكتابـةِ: هـو حـروفُ العربيَّةِ هذه التسـعةُ والعشرون حرفاً، لأنَّ تصرُّفَ الكتابِ في جميعِ أحوالِهـم في الكتابـةِ لا يخرجُ عنهـا ونظرهم فيها مقصورٌ عليها»[٧٤] .

ورأى الشـيخ نصر الهوريني أنَّ موضوعَ هـذا العلمِ هو في إدراك التغـيراتِ التي تصيب الكتابـةَ العربيَّةَ والتي هي مباحـثُ هذا العلمِ من فصلٍ ووصـلٍ وبدلٍ وغيرِ ذلك، قال: «وأما موضوعُهُ: فهو الكلمـاتُ التي يجبُ انفصالُها من بعضِهـا والتي يجـبُ اتصالُهـا ببعضِها، والحـروف التـي تُبدلُ، والحـروف التي تزاد، والحـروف التي تُنقـصُ، فهو منحصرٌ في هذه الأربعة لا غير»[٧٥] .

وأختِـمُ هـذا المبحـثَ بنـصٍّ للشـيخ نـصر الهوريني أيضـاً يتضمّنُ فكرةً طريفةً تتحدَّث عن أهمية علم الكتابةِ ، وقد أشار في هذا النصِّ لفكرةِ الأفصحيّة في الكتابةِ ، وهي فكرةٌ تحسنُ الإشـارةُ إليه، قال: «وأما فائدتُهُ وثمرتُهُ: فهي حفظُ الإنسانِ من الخطأ واللحنِ ... وزيادةً على ذلك معرفةُ الأفصحِ في الكتابةِ وذلك لأنّها نائبةٌ عن التكلُّم، فالخطأ فيها يُعدُّ لحناً كالخطأ فيه ... وكمـا أنَّهم عدُّوا في الألفاظِ فصيحاً وأفصحَ فكذلك عدُّوا في الكتابةِ مثلَهُ»[٧٦] .

● تصنيفُ الكتابةِ العربيَّةِ في التراث العربيِّ

القـارئُ للتراثِ العربيِّ ولا سـيَّما اللغويِّ منه يجدُ أنَّ علماءَ العربيَّـةِ قد نظروا إلى أنَّ الكتابةَ العربيَّةَ لم تكنْ ذاتَ قسمٍ واحدٍ أو صنفٍ منفردٍ، بل جـرتْ العادةُ على تصنيـفِ الكتابةِ العربيَّةِ وتقسيمِها أقسـاماً مختلفةً بحسـب اعتباراتٍ مجـدَّدةٍ: قياسـيَّةٍ، وكتابةٍ خاصـةٍ بالمصحفِ الشريف ، وكتابةٍ عَروضيَّةٍ، ولكنَّي أحسـبُ أنَّ النظرَ إلى الكتابةِ العربيَّةِ مصنَّفةً أو غيرَ مصنَّفةٍ مرَّ بأكثرَ من مرحلةٍ، ويمكنُ عرضُها على النحوِ الآتي:

أولاً: مرحلةُ ما قبل تصنيفِ الكتابةِ العربيَّةِ

ونجـدُ في هذه المرحلةِ أنَّ علماء العربيَّة كانوا يعالجـون قواعـد الكتابـةِ العربيَّـةِ ويدوِّنون نُظُمَهـا من غيرِ نظرٍ إلى أنَّهـا ذاتُ أصنافٍ أو أقسامٍ مختلفةٍ، والذي أقصدهُ بذلك هو أنَّ هذه المرحلـة كانت تنظـرُ إلى الكتابـةِ العربيَّةِ على أنَّهـا ذاتُ نظامٍ كتابيٍّ واحـدٍ وإنْ رأوا أنَّ لها أكثرَ من صورةٍ واحدةٍ للظهورِ، أبجديّةٍ، ورسمِ مصحفٍ، قال ابن قتيبةَ (ت ٢٧٦هـ): «وربّما لم يُمكن الكتَّابُ أنْ يفصلوا بين المتشابهينِ بزيادةٍ ولا نقصانٍ، فتركوهما على حالِهما، واكتفوا بما يدلُّ من متقدمِ الـكلامِ ومتأخِّره مخبراً عنهما،

نحو قولِك للرجلِ: لنْ يغزوَ، وللاثنينِ: لنْ يغزوا، وللجميعِ: لنْ يغزوا، ولا يفصل بين الواحدِ والاثنين والجميع، وإنما يزيدون في الكتابِ – فرقاً بين المتشابهينِ- حروفَ المدِّ واللينِ، وهي الواو والياء والألف، لا يتعدُّونها إلى غيرِها ويبدلونها من الهمزة، ألا ترى أنَّهم قد أجمعوا على ذلك في كتابِ المصحفِ، وأجمعوا عليه في أبي جادٍ»[٧٧].

وعبارة ابن قتيبةَ الأخيرةُ «ألا ترى أنَّهم قد أجمعوا على ذلك في كتابِ المصحفِ، وأجمعوا عليه في أبي جادٍ» تشير إلى هذا الذي قلتُهُ وهو أنَّ هذه المرحلة المتقدمة من تأريخ العربيَّةِ كانت تنظرُ إلى طرقِ ظهورِ الكتابةِ العربيَّةِ ولكنها لم ترَ في ذلك تقسيماً مبنياً على أساس اختلافِ النُّظُمِ والقواعدِ والتقاليدِ الكتابيَّةِ، ومتابعةُ ابنِ قتيبةَ في (أدب الكاتبِ) تُثبتُ أنَّ تقاليدَ الكتابةِ العربيَّةِ وأساليبَها كانت واحدةً في كتابةِ المصحفِ وفي الكتابةِ الأبجديَّةِ (أبي جادٍ) .

وأحسبُ أنَّ مرحلةَ عدمِ التَّصنيفِ هذه قد استمرّت إلى أوائل القرنِ الرَّابعِ للهجرةِ، فعلى الرّغمِ من ظهور الإشارةِ إلى الكتابةِ العَرُوضيَّةِ عند ابنِ السّرّاجِ في قولِهِ: «فحقُّ الكلمةِ إذا كُتبت أن توفَّى عددَ حروفِها التي لها في الهِجاءِ، وأنْ يُصوَّرَ كلُّ حرفٍ منها بصورتِهِ التي وُضِعت له في: أ ،ب ، ت، ث ... فالأصلُ في الكتابِ ما عليه العروضيون في تقطيعِ الشعرِ، فإنّهم يكتبون اللفظ على حقيقتِهِ»[٧٨] .

أقول على الرَّغمِ من ظهورِ هذه الإشارةِ، إلا أنَّ فكرةَ تصنيفِ الكتابةِ العربيَّةِ أصنافاً لمّا تستقرَّ بعدُ في أوائلِ هذا القرنِ يدلُّ على ذلك قولِ أبي بكرٍ الصوليّ (ت ٣٣٥هـ): «ما كُتِبَ على غيرِ قياسٍ، من ذلك: الصلوة والزكوة والغدوة والحيوة والمشكوة والربو، كُتِب كلُّ هذا في المصحفِ بالواو، وكان يجبُ أن يكتبنَ بالألف للفظِ ...وأنتَ اليومَ بالخيارِ إنْ شِئتَ كتبتهما بالألفِ، وإنْ شِئتَ أقرَرْتهما على ما في المصحفِ»[٧٩] .

ويُمكنُ القولُ إنَّ أوائلَ القرنِ الرابعِ للهجرةِ كان يمثِّلُ مرحلةً وُسْطى بين القولِ باستقلالِ رسمِ المصحفِ والقولِ بأنَّ طريقةَ هذا الرسمِ في التمثيلِ الكتابيِّ للصوتِ العربيِّ يُمْكنُ أن يَكونَ نظاماً كتابيّاً يُتاحُ للكاتبِ الأخذُ به والكتابةُ بحسبِه .

ثانياً : بدءُ مرحلةِ تصنيفِ الكتابةِ العربيَّةِ

ويبدو أنَّ أوّل محاولةٍ لتصنيفِ الكتابةِ العربيَّةِ كانت قد برزت عند الزجّاجي، الذي يبدو أنَّه قد استوحى فكرةَ التقسيمِ من النُّصوصِ السابقةِ، التي تحدَّث بعضُها عن (أبي جاد) وتحدَّث آخرُ عن (كتابة العروضيينَ) فرأيناه يصرِّحُ بتقسيمِ الكتابةِ العربيّةِ بحسبِ هذينِ القسمينِ، يقول: «اعلمْ أنَّ الهجاءَ على ضربينِ: ضرب منه للسمعِ، وضربٌ منه لرأي العينِ، فأما ما كان منه للسّمعِ فهو لإقامةِ وزنِ الشعرِ، وما كان منه لرأي العينِ: فإنَّه صورةٌ وُضِعتْ لحروفِ المعجمِ، وهي ثمانيةٌ وعشرون حرفاً»[٨٠] .

وقد أخذَ بهذه الطريقةِ في التّصنيفِ من المتأخرينَ أبو موسى عيسى بن عبدالعزيز الجُزُولي(ت٦٠٧هـ) الذي أطلقَ على كلِّ صنفٍ مصطلحاً أجدُ أنَّه خاصٌّ به، إذ سمّى الذي للسّمعِ : قياسيّاً، والذي لرأي العينِ: اصطلاحيّاً،

قال: « الهجاءُ على قسمين: قياسيٍّ واصطلاحيٍّ، فالقياسيُّ: أنْ يطابِقَ اللفظُ الخطَّ وهو للسّمعِ أو أنْ يكـون على أَصل الكلمـةِ، والاصطلاحيُّ عكسُهُ وهو لرأيِ العينِ»[٨١] .

كمـا تابـعَ الزجّاجيَّ في تصنيفِـهِ هذا شُرّاحُ (جُملِهِ) على نحو ما نجد عند ابنِ عصفورٍ[٨٢]، وابـنِ هشـامٍ[٨٣]، وأجـد أنَّ النظـرَ إلى رسـمِ المصحـفِ على أنَّـه نظامٌ كتابيٌّ يُتـاحُ للكاتبِ الأخذُ به مازال فكرةً سـائغةً إذا نظرنا إلى ذلك من خلالِ نصِّ الزجّاجـيِّ هذا الذي لمْ يُشِرْ إلى رسم المصحفِ على أنَّه قسمٌ مستقلٌّ قائمٌ برأسِهِ، فالـذي يبـدو أنَّ الزجَّاجـيَّ نظـرَ إلى الكتابةِ في المصحـفِ على أنَّها من الـضَّربِ الذي لرأيِ العـينِ، والذي يدلُّ على ذلك أنَّ ابنَ درسـتويه قـد نصَّ في كتابِهِ (الكتاب) على أنَّ من العلماءِ من يقتفي رسـمَ المصحفِ في كتابتِهِ، قال–عن الكتابة الجاريةِ بين العامة والخاصةِ-: «وفيه اختلافٌ بين العلمـاءِ، فمنهم المقتفي فيه خطَّ المصحفِ والمكتفي بما نشـأ عليه، والقايسُ إن مصيباً وإنْ مخطئاً»[٨٤] .

ولكنَّ هذا القرن الرَّابعَ لم يكدْ ينتصِفُ حتّى بدأ اللغويون ينظـرون إلى أنَّ الكتابةَ العربيَّةَ أصنـافٌ ثلاثةٌ: الكتابةُ الجاريـةُ على القياس، وخـطُّ المصحـفِ، والكتابـةُ العرَوضيَّـةُ، على نحـو ما نجـدُ عند ابنِ درسـتوَيْه الذي قال – متحدَّثاً عن كتابه: «وهو كتابُ الكتاب الجاري بـين الخاصَّةِ والعامَّةِ في كتْبِ علومِهم وآدابِهم ومراسـلاتِهم ... وفيـه اختلافٌ بـين العلماءِ، فمنهم المقتفي فيه خطَّ المصحفِ والمكتفي بما نشـأ عليه، والقايس إنْ مصيباً وإنْ مخطئاً ... ووجدنـا كتابَ اللهِ عزَّ وجـلَّ لا يُقاسُ هجاؤهُ ولا يُخالفُ خطُّهُ، ولكنَّه يُتَلَقَّى بالقَبولِ على ما أودعَ المصحفَ .

ورأيـتُ العَـروض إنّما هو إحصـاءُ ما لُفِظَ به من سـاكنٍ ومتحرِّكٍ وليس يلحقُهُ غَلَطٌ ولا فيـه اختلافٌ بين أحدٍ، فلم نعرضْ لذكرِهما في كتابِنا هذا»[٨٥] .

وقد استقرَّ في الثقافةِ العربيَّةِ اللغويَّةِ وغيرِها أنَّ الكتابـةَ العربيّـةَ تصنَّـفُ هـذه الأصنافَ الثلاثـةَ: الكتابـةُ القياسـيَّةُ القائمـةُ أصولُها وتقاليدُهـا عـلى القياسِ المسـتمدِّ مـن النحو والصَّرفِ على نحو ما رأينا في المبحثِ السَّـابقِ، وخطُّ المصحفِ الـذي اتَّجه العلمُ العربيُّ نحو القـولِ بالمحافظـةِ عليـه في كتابـةِ المصاحفِ مع تركِ القيـاسِ عليه، وخـطُّ العَروضِ وهو وإنْ كان موافقـاً للأصـلِ العـامِّ للكتابةِ لكنَّه خـاصٌّ بالتقطيعِ العَروضيِّ وحـده، وقد نصَّ عـلى هذه الأصنـافِ الثلاثةِ كثيرٌ مـن العلماءِ، عـلى نحـو مـا نجد عنـد يحيـى بـن حمزة العلـوي[٨٦]، وابـن مالـك(ت٦٧٢هـ)[٨٧]، وابن عقيـل(٧٦٩هـ)[٨٨]، وبرهـان الدّيـن الزركـشي (ت٧٩٤هـ)[٨٩]، والقلقشـندي (ت٨٢١ هـ)[٩٠]، ونصر الهوريني[٩١].

ثالثاً: أصنافٌ أخرى للكتابةِ العربيَّةِ

هـذه الأصنـاف الثلاثةُ التي مـرَّ ذكرُها هي التـي اسـتقرَّت في الـتراث اللغـوي العربـيِّ، ويمكـنُ وصفُها بأنَّها هي المعـبِّرةُ عن الحياة الثقافيّـة والعلميَّـة عنـد العـرب: الكتابـةُ القياسـيّةُ المستعملةُ في التدوين بصورةٍ عامّةٍ، وخطُّ المصحفِ المسـتعملُ في كتابةِ المصاحفِ الشريفـةِ، والخطُّ العروضي المسـتعمل في فنِّ التقطيعِ الشعري .

ولكـنَّ عـرضَ الحقيقـةِ العلميَّـةِ عـلى نحوٍ متكامـلٍ يدعونا للقولِ إنَّ التُّراثَ العربيَّ عَرفَ صوراً أخرى للكتابةِ العربيَّةِ استعملتْ الكتابةَ القياسـيَّة ولكن أعادت صياغـةَ بعض نُظُمِها لتعبِّرَ عن وظائِـفَ محدودةٍ يلجـأُ إليها كُتَّابُ الدواوينِ والقُضـاةِ في القرونِ المتأخِّرةِ وتكونُ خاصَّةً بهـم دون غيرِهم، وسـيلتُها تدوينُ ما يُعـدُّ مـن أسرار الدَّولةِ آنذاك، وقد أشـار لهذا الصنـفِ مـن الكتابةِ ابـنُ خلدون حـينَ قال: «ثـمَّ إنَّ المتأخرين من الكُتَّـابِ اصطلحوا على وصلِ كلماتٍ بعضُهـا ببعضٍ، وحذف حروفٍ معروفةٍ عندهـم لا يعرفها إلا أهل مصطلحِهم فتسـتعجم على غيرِهم، وهؤلاءِ كتـاب دواوين السـلطانِ وسـجلات القضاةِ، كأنهـم انفردوا بهـذا الاصطـلاحِ عـن غيرِهـم، لكثرةِ مـواردِ الكتابةِ عليهم، وشـهرة كتابتهم وإحاطةِ كثيرٍ مـن دونهم بمصطلحِهم ... وليس يُعذرُ في هذا القـدرِ إلا كتَّاب الأعمال السـلطانية في الأموال والجيـوش، لأنهم مطلوبون بكتمـانِ ذلك عن النَّاس فإنَّه من الأسرار السـلطانيَّة التي يجبُ إخفاؤُهـا، فيبالغون في رسـمِ اصطلاحٍ خاصٍّ بهم، ويصيرُ بمثابةِ المُعمّى»[٩٢].

● خاتمة البحث ونتائجُهُ

كانـت مهمَّـةُ هـذا البحـثِ التعُّـرفَ عـلى طريقةِ التُّراثِ العربيِّ في التَّعريف بعلمِ الكتابةِ العربيَّةِ، وأحسـبُهُ قد وفّى بمهمّتِهِ إنْ شـاءَ اللهُ تعـالى، إذ عرضـتُ لجوانـبَ أراها رئيسـةً في التّعريف بهـذا العلمِ تتعلَّـقُ بالمصطلحِ المعبِّرِ عنـه، ومفهومِهِ (أو تعريفِـهِ)، ومنهجِ التنظيرِ له، وأقسامِهِ .

أمّـا مـن حيـثُ المصطلـحُ المعـبِّرُ عنـه فإنَّ علمـاءَ العربيَّةِ وغيرَهم قـد تعارفوا بينهم على اسـتعمال مصطلحـات مختلفـةٍ للتعبـيرِ عن هـذا العلمِ، من هجاءٍ، وخـطٍّ، وكتابٍ، وكتابةٍ، ورسـمٍ، وقد اختفى قسمٌ من هذه المصطلحاتِ ، كمـا تخصَّـص بعضُهـا للتعبير عـن تقاليد الكتابـةِ العربيّـةِ في بعـض المواطن كالرسـمِ الـذي غلب إطلاقُهُ على ما له صِلـةٌ بالكتابةِ في المصحـفِ الشريـفِ، كمـا أنَّ منهـا ما صارت الأنظار العلميَّة تتَّجِـهُ إليه كعلم الكتابةِ، الذي اسـتعمله يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩ هـ) قديماً، ورجّحه أسـتاذُنا الدكتور غانم قدوري الحمد من المحدثينَ .

أمّا مفهومُ (أو تعريفُ) علمِ الكتابةِ فقد برزتْ اتّجاهـات محدّدةٌ في تعريفِـهِ، إذ كانَ للغويينَ اتّجـاه واضـحٌ في تعريفِ هـذا العلـمِ رجّحنا أنّه مسـتقى من ابن السَّرَّاجِ الـذي تحدَّث عن فكرةِ التصوير، ويعني بهـا أنَّ الخطَّ (أو علم الكتابةِ) هو تصوير للحرفِ بصورةٍ موضوعةٍ لـه في الحروفِ الهجائيَّةِ، وقد أخذ هذه الفكرةَ ابنُ الحاجبِ فعرَّف هـذا العلم بقوله: «الخطُّ: تصويرُ اللفظِ بحروفِ هجائِهِ»، وهو التّعريفُ الذي سرى عند من جاءَ بعدهُ .

كما عُنيَ مصنِّفو العلومِ بالتعريفِ بهذا العلمِ، وكانَ تعريفُهُم متفاوتاً بين الحديث عن معنى عـامٍّ يعرِّف بعلـم الكتابةِ على نحـو ما وجدنا عند ابنِ خلدون وساجقلي زاده، وتعريفٍ يُقيمُ عباراتِهِ على أساس إحصاءِ مباحثِ علمِ الكتابةِ عـلى نحو ما وجدنـا عند السـيوطي في (إتمامِ الدِّرايةِ) و(رسـالة في علمِ الخطِّ)، ووجدنا أنَّ هذا التّعريفَ قد نال حُظوةً عند من جاءَ بعده .

وأمَّـا التنظـيرُ لهذا العلمِ فإنَّ الـذي تبيّنَ لنا

من خلال نصوص العلماء السابقينَ وطرقِ معالجتِهم لتقاليد الكتابةِ العربيَّةِ أنَّ المتقدّمينَ قد هيَّؤوا الأسس النظريَّةَ التي تصيّرُ قواعدَ الكتابةِ علماً قائماً ومستقلاً قائماً بنفسِه، فبعد أنْ حدَّدوا مصطلحاً (أو مصطلحاتٍ) معبِّرةً عنه، ومفهوماً خاصاً بهذا المصطلح، أنشؤوا يحدّدون لهذا العلم موضوعَه، وحدوده، واستمدادَه لمنظومتِه المَعرفيّة، وأحسبُ أنَّ علم الكتابةِ العربيَّةِ من العلومِ اللغويّةِ القليلةِ التي أسّست بنيانَها وأقامت قواعدَها على أساس نظريّة (مراتب الشيءِ في الوجودِ) التي برزتْ عند الأصوليين والمناطقةِ، بعد أن وجدَ هذا العلمُ في تلك النظريّةِ ما يُمتُّ بسببٍ رئيسٍ إليها وهو اعتراف تلك النظريّةِ أنَّ منَ مراتب الشيءِ في الوجود تمثُّلُهُ في الكتابةِ .

أمَّا فكرة تصنيفِ الكتابةِ العربيَّةِ فهي لم تكنْ حاضرةً في المراحلِ الأولى من بدء التصنيفِ لهذا العلمِ ، مع أنَّ علماءنا المتقدمينَ أشاروا لطرقِ ظهورِ الكتابةِ العربيَّةِ، من عامَّةٍ وخطٍّ مصحفٍ ـ ولكنَّ الحياةَ الثقافيّةِ العربيَّةَ كانت تنظرُ إلى تقاليد الكتابةِ العربيّةِ على أنَّها واحدةٌ في كلتا الكتابتينِ المشارِ إليهما آنفاً، وأحسبُ أنَّ ذاك كان مستمراً إلى حدود الثلث الأول من القرنِ الهجريِّ الرابع، ثمَّ استقرَّ في تراثِنا العربيِّ أنَّ الكتابةَ العربيَّةَ (علماً وواقعاً) استقرَّت على أنَّ الكتابة القياسيّةَ شيءٌ وخطُّ المصحفِ شيءٌ آخرُ يُحفظُ في تمثيل كتابةِ المصاحفِ الشريفةِ لكنّه لا يُقاسُ عليه، وبقيتْ الكتابةُ العَروضيّة هدفُها لا يتعدَّى التعبير عن البيت الشعري بقوانينِ الحركةِ والسُّكونِ بغيةَ كشفِ وزنِه، وهذا كلّهُ يعني أنَّ الكتابةَ العربيّةَ قد استقرّت على أصنافٍ ثلاثةٍ: الكتابةِ القياسيَّةِ، وخطِّ المصحفِ، والكتابةِ العَروضيَّةِ.

وقد دوَّنَ التُّراثُ العربيُّ أصنافاً أخرى للكتابةِ العربيَّةِ مستعملةً في مواضعَ محدودةٍ ذَكَرَها ابنُ خلدون ونصَّ على أنَّها مستعملةٌ في الدواوينِ الحكوميّةِ آنذاك للتعبيرِ عن بعضِ شؤونِ الدّولِ الخاصّةِ، وفيها أُعيدَ تشكيلُ بعضِ أنظمةِ الكتابةِ العربيّةِ لتوافقَ وظيفتَها الخاصَّةَ .

●هوامش البحثِ

(١) ينظر:علم الكتابة العربية ص١٧ – ٢١ .
(٢) ينظر:الفهرست، لابن النّديم (ت ٣٨٠ ه) ص ١٠٤ .
(٣) ينظر: الفهرست ص ٩٢ .
(٤) ينظر: الفهرست ص ١١٨ .
(٥) ينظر: الجمل ص٢٧٠ .
(٦) ينظر: الغرة المخفية في شرح الدرةِ الألفية، لابن الخبّاز (ت ٦٣٩ ه) ج٢/ص ٦٩٥، واسم الباب في هذا الكتاب: (الهجاءُ والإمالة) .
(٧) ينظر: تسهيل الفوائد ص٣٣٢.
(٨) طبع هذا الكتاب محقَّقاً ثلاثَ مرّات: بتحقيق: كامل كامل البكري، وعبدالوهاب أبو النور، القاهرة ١٩٦٨، والدكتور عبدالحسين الفتلي، مجلة المورد ع ٣، م ٥، ١٩٧٦م، والدكتور موفق حسين عليوي دار الكتب العلمية – بيروت ط (١) ٢٠١٥ «وفي نسبة التحقيق للدكتور موفق حسين عليوي إشكالٌ» .
(٩) حقّقه الدكتور غانم قدوري الحمد، وطبع في دار عمار – عمان / الأردن ط (١) ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م .
(١٠) ينظر: الشافية (ضمن مجموع مهمات المتون) ص٥٥١ .
(١١) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ج٣/ص٤٦٠ .
(١٢) المطالع النصرية في الأصول الخطيةص ٩ .
(١٣) ينظر: رسم المصحف – دراسة لغوية تأريخية، للدكتور غانم قدوري الحمد، ج١/ ص ١٥٦ .
(١٤) المطالع النصريَّة ص٣١ .
(١٥) علم الكتابة العربيّة ص ١٣ .
(١٦) من أجل ذلك لم يذكر ابنُ سيدهْ (٤٥٨ ه) أيَّةَ لفظة مشتقة من (رسم) دالة على الكتابة أو ما يتَّصلُ بها حين ذكر ألفاظ الكتابة والهجاء في كتابه: المخصّص، ينظر: ج٦/ص٤ – ٨ .
(١٧) رسم المصحف ج١/ ص١٥٦ .

(١٨) العين ج٥/ص٣٤١ .
(١٩) ينظر: علم الكتابةِ العربيّةِ ج١/ص ١٢، وكتاب الخطِّ ، لابن السَّرَّاج ص٦٥ .
(٢٠) ينظر: المخصّص ج٦/ص٤ – ٥ .
(٢١) كتاب الكتاب ص٢٠.
(٢٢) إحصاء العلوم ص ٢٣،٢٤ .
(٢٣) ينظر: إرشاد القاصد ص١٢٤، ١٢٥ .
(٢٤) لأبي حيّان التوحيدي (ت ٤١٤ ه) رسالةٌ سمّاها (رسالةٌ في علمِ الكتابةِ) لم يتناولْ فيها شيئاً له صلةٌ بقواعدِ الكتابةِ، وإنّما خصَّصها لبحثِ أنواعِ الخطوطِ، وفنِّ الخطِّ، وفضيلةِ الكتابةِ ، والرسالةُ حقّقها الدكتور إبراهيم الكيلاني، ونشرها ضمن كتاب «ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي»، وصدرعن: المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربيّة – دمشق ١٩٥١ م .
(٢٥) المنهاج في شرح جمل الزجاجي ج٢/ص١٩٦ .
(٢٦) المنهاج ج٢/ص١٩٨ .
(٢٧) علم الكتابة العربية ص١٣ – ١٤ .
(٢٨) ينظر: مفتاح السعادة ومصباح السيادة ج١/ ص٩٣ .
(٢٩)علم الكتابة العربية ص ١٣ .
(٣٠) ينظر: الفهرست ص١٠٤.
(٣١) ينظر: علم الكتابةِ العربيّةِ ص١٨ .
(٣٢) كتاب الخطِّ ص ٦٥ – ٦٦ .
(٣٣)ينظر:شرح شافيةِ ابن الحاجب، لرضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦ ه) ج٣/ص٣١٢ .
(٣٤) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ج٣/ص ٣١٢ .
(٣٥) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ج٢/ص١٠٨٥.
(٣٦) ينظر: مجموعة الشافية ج٢/ص٥٥٦ .
(٣٧) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ج٣/ ص٤٦٠ .
(٣٨) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ص٧٠٧ .
(٣٩) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون ص٧٤٦ .
(٤٠) شرح شافية ابن الحاجب ج٢/ص١٠٨٥ .
(٤١) مجموعة الشافية ج٢/ص٥٥٦ .
(٤٢) المنهاج في شرح جمل الزجاجي ج٢/ص١٩٥ .
(٤٣) المطالعُ النصريّة ص٣١ .
(٤٤) نستثني من مصنفي العلوم: حاجي خليفة، والتهانوي اللذينِ تابعا ابنَ الحاجبِ في تعريفِهِ كما رأينا.
(٤٥) إحصاء العلوم ص ٢٣ .
(٤٦) إحصاء العلوم ص٢٤ .
(٤٧) ينظر: إرشادُ القاصدِ ص١٢٤ ، ١٢٥ .
(٤٨) المقدمة ص ٣٢٨ .
(٤٩) ينظر: همع الهوامع ج ٣/ص٤٦٠ .
(٥٠) إتمام الدراية لقراءِ النقايةِ ص ١٠٦، وينظر: رسالة في علم الخطِّ (له)، طبِعتْ ضمن كتاب: «التُّحفة البهيَّة والطُّرفة الشهية» ص٥٤ .
(٥١) ينظر: نثر المرجان في رسم نظم القرآن ص٥٢ .
(٥٢) ترتيب العلوم ص١٢٦ .
(٥٣) إحصاء العلوم ص١٧ .
(٥٤) المصدر نفسه ص١٨ .
(٥٥) ينظر: المصدر نفسه ص١٩ .
(٥٦) المستصفى من علم الأصول ج١/ص٦٥ – ٦٦ .
(٥٧) الغرةُ المخفيّة في شرحِ الدرَّةِ الألفية ج٢/ص٦٩٩.
(٥٨) ينظر: مجموعة الشافية في التصريفِ والخطِّ ج٢/ص٥٥٥ .
(٥٩) ينظر: إرشاد القاصدِ إلى أسنى المقاصدِ ص ١٢٤.
(٦٠) ينظر: المطالعُ النصريّة ص١٣ – ١٤ .
(٦١) شرح شافية ابن الحاجب ج٢/ص١٠٨٤ – ١٠٨٥ .
(٦٢) المقدمة ص٣٣٣ .
(٦٣) ترتيب العلوم ص ١٢٦ .
(٦٤) شرح شافية ابنِ الحاجبِ ج٢/ص١٠٨٥ .
(٦٥) ينظر: همع الهوامع ج ٣/ص٤٨٦ .
(٦٦) المطالع النصريَّة ص٣٤ .
(٦٧) المصدر نفسه ص٣٥ .
(٦٨) ينظر: همع الهوامع ج ٣/ص٤٨٦ .
(٦٩) المنهاج في شرح جمل الزجاجي ج٢/ص١٩٣ .
(٧٠) علم الكتابةِ العربيَّةِ ص ١٤ .
(٧١) ترتيب العلوم ص١٢٦ .
(٧٢) المصدر نفسه ص١٣٢ .
(٧٣) اللسانيات البنيوية – منهجيات واتجاهات، للدكتور مصطفى غلفان ص٨٠ .
(٧٤) المنهاج في شرح جمل الزجاجي ج٢/ص١٩٦ .
(٧٥) المطالع النصريّة ص٣١ .
(٧٦) المطالع النَّصريَّة ص٣٣ .
(٧٧) أدب الكاتب ص١٤٠ .
(٧٨) كتاب الخطِّ ص٦٥ – ٦٦ .
(٧٩) أدب الكُتَّابِ ص ٢٦٨ .

(٨٠) الجمل في النحو ص٢٧٣ .
(٨١) المقدِّمة الجُزوليّة في النحوِ ص٢٦٧ .
(٨٢) ينظر: شرح جمل الزجاجي ج٢/ص٤٩٠ .
(٨٣) ينظر: شرح جمل الزجاجي ص٣٤٤ .
(٨٤) كتاب الكتاب ص٢٠ .
(٨٥) كتاب الكتاب ص٢٠ – ٢١ .
(٨٦) ينظر: المنهاج في شرح جمل الزجاجي ج٢/ ص١٩٧، ص١٩٨ - ١٩٩.
(٨٧) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص٣٣٢ ، ٣٣٧ – ٣٣٨ .
(٨٨) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ج٤/ص٣٨٠ .
(٨٩) ينظر: البرهان في علومِ القرآن ج١/ص٣٧٦ .
(٩٠) ينظر: صبح الأعشَى في صناعةِ الإنشا ج٣/ ص١٧٢،١٧٣ .
(٩١) ينظر: المطالع النّصريّة ص ٣٥ – ٣٧ .
(٩٢) المقدِّمة ص٣٣٣.

مصادرُ البحثِ ومراجعُهُ

● إتمام الدّراية لقرّاء النقاية لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ ه)، ضبطه: إبراهيم العجوز، دارالكتب العلمية – بيروت، ط (١) ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ .
● إحصاءُ العلوم، لأبي نصر الفارابي (ت ٣٣٩ ه)، قدّم له وشرحه وبوبه: علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط (١) ١٩٩٦ م .
● أدب الكاتب، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ه)، حققه : الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الطلائع – القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
● أدب الكُتّاب، لأبي بكر محمد بن يحيى بن عبدالله الصولي (ت ٣٣٥ ه)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (١) ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .
● إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، لمحمد بن إبراهيم الأنصاري، المعروف بالحكيم المتطيب ابن الأكفاني (ت ٧٤٩ ه)، تحقيق: عبدالمنعم محمد عمر، دار الفكر العربي – القاهرة .
● البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث – القاهرة .
● ترتيب العلوم، لمحمد بن أبي بكر المرعشي المعروف بساجقلي زاده (ت ١١٥٠ ه)، دراسة وتحقيق: محمد بن إسماعيل السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط(١) ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .
● تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لمحمد جمال الدين ابن مالك (ت ٦٧٢ ه)، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – القاهرة ١٣٨٨ هـ- ١٩٦٨م .
● الجمل، لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧ ه)، تحقيق: الدكتور علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة – بيروت ودار الأمل – الأردن، ط(١) ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
● الخطُّ، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار – عمان / الأردن، ط(١) ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م .
● الخطُّ، لأبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج (ت ٣١٦ ه)، نُسِب تحقيقه إلى: الدكتور موفق حسين عليوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط(١) ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م .
● رسالة في علم الخط، لجلال الدين السيوطي، (طبعت ضمن مجموعة: التحفة البهية والطرفة الشهية)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط (١) ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .
● رسالة في علم الكتابة (ضمن: ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي ت ٤١٤ ه)، عني بتحقيقها ونشرها: الدكتور إبراهيم الكيلاني، المعهد الفرنسي بدمشق – دمشق ١٩٥١م .
● رسمُ المصحفِ – دراسة لغويّة تأريخية، لغانم قدوري الحمد، مؤسسة المطبوعات العربية – بيروت، ط(١) ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
● الشافية (ضمن كتاب: مجموع مهمات المتون)، لأبي عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر (ت ٦٤٦ ه)، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط(٤) ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م .
● شرح جمل الزجاجي، لأبي محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ ه)، دراسة وتحقيق: الدكتور علي محسن عيسى مال الله، عالم الكتب – بيروت ، ط(٢) ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
● شرح جمل الزجاجي، لأبي الحسن علي بن مؤمن بن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩ ه)، قدم له ووضع حواشيه: فواز الشعار، دار الكتب العلمية – بيروت ط(١) ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
● شرح شافية ابن الحاجب، للخضر اليزدي (أتمَّ تأليف كتابه سنة ٧٢٠ ه)، تحقيق: الدكتور حسن

أحمد العثمان، منشورات ذوي القربى – قم، ١٤٣٣هـ.
● شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦ ه)، حققه: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية – بيروت .
● صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأبي العباس أحمد القلقشندي (ت)، المطبعة الأميرية – القاهرة، ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤م .
● علم الكتابة العربيّة، للدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار – عمان / الأردن، ط(١) ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
● العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ ه) – تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي – بيروت، ط(١) ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م .
● الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية، لابن الخباز (ت ٦٣٩ ه)، تحقيق: حامد محمد العبدلي، دار الأنبار – مطبعة العاني/بغداد .
● الفهرست، لأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف بالنديم (ت ٣٨٠ ه)، ضبطه وشرحه: الدكتور يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية – بيروت، ط(٢) ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .
● كتاب الكتاب، لعبدالله بن جعفر بن درستويه (٣٤٧ ه)، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور عبدالحسين الفتلي، دار الجيل – بيروت، ط(١) ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م .
● كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي التهانوي (ت ١١٥٨ ه)، تحقيق: الدكتور علي دحروج، بمشاركة آخرين، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط (١) ١٩٩٦ م .
● كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للعلامة مصطفى بن عبدالله المعروف بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ه)، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
● اللسانيات البنيوية – منهجيات واتجاهات، للدكتور مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت، ط(١) ٢٠١٣ م .
● مجموعة الشافية في علمي التصريف والخط، ضبطها: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط(١) ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م .
● المخصّص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدهْ (ت ٤٥٨ ه)، تحقيق: الدكتور عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط(١) ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
● المساعد على تسهيل الفوائد، لبهاء الدين ابن عقيل (ت ٧٦٩ ه)، تحقيق: الدكتور محمد كامل بركات، دار الفكر – دمشق ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
● المستصفى من علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ ه)، تحقيق: الدكتور حمزة بن زهير حافظ – المدينة المنورة .
● المطالع النصريّة في الأصولِ الخطيّة، (قواعد الإملاء)، للشيخ نصر الهوريني(ت ١٢٩١ه)، تحقيق: الدكتور عبدالوهاب محمود الكحلة، مؤسسة الرسالة – ناشرون، ط(١) ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
● مفتاح السعادة ومصباح السيادة، للعلامة أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨ ه)، دار الكتب العلمية – بيروت.
●المقدمة، للعلامة عبدالرحمن بن خلدون(ت ٨٠٨ ه)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط(٩) ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.
● المقدمة الجزوليّة في النحو، لأبي موسى عيسى بن عبدالعزيز الجزولي (ت٦٠٧ه)، تحقيق: شعبان عبدالوهاب محمد، مطبعة أم القرى – القاهرة ط(١) ١٩٨٨م .
● المنهاج في شرح الجمل، للإمام يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩ ه)، دراسة وتحقيق: الدكتور هادي عبدالله ناجي، مكتبة الرشد ناشرون – الرياض، ط(١) ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
● نثر المرجان في رسم نظم القرآن (قسم الأصول وسورة الفاتحة وأول البقرة)، لمحمد غوث النائطي الآركاتي الهندي (ت ١٢٣٨ ه)، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، مؤسسة الضاحي – بيروت ومكتبة أمير – كركوك / العراق ط(١) ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م .
● همعُ الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (٢) ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

Introducing the writing science in the Arab heritage

By: Dr. Omar Rasheed Shaker Al Samurai

Abstract

This research sought to investigate the writing science in the Arab heritage and the efforts of Arab Scientists in this field, and they define the concept and contexts that constitute and scientific inquiry.
This research was conducted on four topics: The terms that refer to the science of writing, The concept of writing science and its limits in Arab heritage, The theoretical effort of writing science in the Arab heritage, Writing classification and its fields. The research also dealt with the sources of this science in Arabic and the methodical contexts which Arab scientists circulated it.